

رسالة في مدار التجوُّز في اللفظ

لابن كمال باشا/ قراءة وتحقيق

د. حامد صادق القنبي

جامعة الملك فهد للبترول

أولاً:

قراءة في مخطوط (مدار التجوُّز في اللفظ)

موضوع هذه الرسالة يتناول بشكل مختصر مسألة الدلالة والمعنى، وهو ما يُعرف في الدرس اللغوي الحديث بـ Semantics وهو ما يقابل عند المتقدمين (اللفظ والمعنى). وقد عُنيت بدراسة هذه المسألة طوائف الدارسين من لغويين ونحويين وبلاغيين وأدباء ومفسرين.

ولكن ابن كمال، وهو الشمولي المعرفة، ينظر إلى المسألة من عدة زوايا. ولقد سبق أن أوضح مذهبه فيها في رسالته الموسومة بـ (مشاركة صاحب المعاني اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ المستعملة في كلام العرب)، يقول فيها: "اعلم أن صاحب المعاني يشارك اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ المستعملة في كلام العرب، إلا أن اللغوي يبحث عنها من جهة مادتها في علم متن اللغة، ومن حيث هيئاتها في علم الصرف، ومن جهة نسبة بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية في علم الاشتقاق. وصاحب المعاني يبحث عنها من جهة فصاحتها وعدم فصاحتها وحسنها وقبحها. والفصاحة لا تستلزم الحسن فإن اللفظ الفصيح يختلف

حاله حسناً وقبحاً باختلاف المقام، أعني موضعه من الكلام، فكم من لفظ فصيح حَسُنَ في مقام وهو بعينه قبيح في مقام آخر^(١).

ومفردات اللغة مكونة من كلمات، ولكلّ كلمة مفردة معنىً جزئي، وتركيب صرفي، وصيغة اشتقاقية. وميدان معالجة الكلمات والحالة هذه علم المعجم، أو علم الصرف^(٢).

أما التراكيب فقوامها مجموعة المفردات يجمعها نظام يقتضيه، سماه عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) النظم، وأحياناً التعليق. ولكلّ تركيب في سياقه معنىً إضافيً يختلف عما يقتضيه ظاهر التركيب. وميدان معالجة التراكيب علم النحو والبلاغة. والمعنى الدلالي ليس إلاّ محصلة معانٍ متعددة في تركيب الجملة: منها المعنى الصرفي، والمعنى النحوي، والمعنى المعجمي.

"وليس المعجم نظاماً من أنظمة اللغة فهو لا يشتمل على شبكة من العلاقات العضوية والقيم الخلافية، ولا يمكن لمحتوياته أن تقع في جدول يمثل احتباك هذه العلاقات على نحو ما سنرى في أنظمة الأصوات والصرف والنحو. فالمعجم بحكم طابعه والغاية منه ليس إلاّ قائمة من الكلمات التي تسمى تجارب المجتمع، أو تصفها أو تشير إليها. ومن شأن هذه الكلمات أن تحمل كلّ واحدة إلى جانب دلالتها بالأصالة والوضع (الحقيقة) على تجربة من تجارب المجتمع أن تدلّ بواسطة التحويل (المجاز) على عدد آخر من التجارب. فإذا وضعنا كلمة

١- مخطوط السليمانية رقم ٢٠٤١، لوحة ٤٥ أ. قابل بدلائل الإعجاز، ص ٣٣ طبعة المنار.

٢- انظر السيوطي. المزهري ٢٥/١. وعن محمود السعران (بتصريف): علم المفردات يقابل في الدرس الحديث علم الدلالة Semantics، وهو يُعني بدراسة اللغة من حيث إنها كلمات تدل على معانٍ موضوعها علم الدلالة. ولعلم الدلالة منهجه ووسائله فهو يعتمد على دراسة الصوت، وعلى الدراسة النحوية، ولكنه يُدخل في اعتباره عناصر غير لغوية كشخصية المتكلم وشخصية السامعين.. وظروف الكلام (السعران، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ص ٨٣).

"المعاني" بدل "التجارب" صحَّح لنا أن نقول: إنَّ الكلمة المفردة (وهي موضوع المعجم) يمكن أن تدلَّ على أكثر من معنى وهي مفردة ولكنها إذا وُضعت في "مقال" يُفهم في ضوء "مقام" انتقى هذا التعدد عن معناها ولم يعد لها في السياق إلا معنى واحد. لأنَّ الكلام وهو مجلَّى السياق لا بُدَّ أن يحمل من القرائن المقاليَّة (اللفظية) والمقاميَّة (الحاليَّة) ما يعين معنى واحداً لكلِّ كلمة. فالمعنى بدون المقام (سواء أكان وظيفياً أم معجمياً) متعدد ومحتمل لأنَّ المقام هو كبرى القرائن، ولا يتعين إلا بالقرينة^(١).

ولقد عرض ابن كمال لهذه المسألة في الرسالة موضوع التحقيق، قال (ع ١٤٤ ب): "ومما أخطأ فيه الراغب، في عبارة (الوَدَّ) حيث قال في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ [البقرة ١٠]، الوَدَّ: محبة الشيء مع تمنييه. ولَمَّا كَانَ لَهَا اسْتَعْمَل فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَقِيلَ: وَوَدِدْتُ فَلَاناً إِذَا أَحْبَبْتَهُ، وَوَدِدْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَمَنَيْتَهُ. وَقَلَّدَهُ الْإِمَامُ الْبَيْضَاوِيُّ.. وَإِنَّمَا قَلْنَا أَنَّهُمَا أَخْطَأَ فِيمَا ذُكِرَ لِأَنَّ مَعْنَى التَّمْنِي غَيْرَ مَعْتَبَرٍ فِي مَفْهُومِ الْوَدِّ. وَلِهَذَا أَيَّ لَعْدَمِ الدَّلَالَةِ فِيهِ عَلَى مَعْنَى التَّمْنِي احتيج عند القصد إليه بزيادة لفظة (لو). ولم ترد عبارة (يَوَدُّ) مراداً بها معنى التمني في القرآن إلا مقرونة بلفظ (لو). ولو كان في مفهومها معنى التمني لما احتيج في إفادته إلى زيادة (لو). نعم مفهومها ليس مطلق المحبة التي يقارنها التمني وتلك المقارنة شرط على الأصل فلا تُذكر بدون (لو) الدالَّة على الشرط المذكور إلا إذا تُوسَّع وجُردت عن الشرط المذكور واستُعملت في معنى مُطلق المحبة.

* * *

١- حسان، تمام. اللغة العربية: معناها ومبناها. ص ٣٩.

لقد ضمن القرآن الكريم للغة العربية صفة الخلود، وقد ساعدت تلاوته على ثبات العربية وخاصة في جانبها الصوتي، وهو أكثر جوانب اللغة تعرضاً للتغيير والانحراف والتشويه، فضلاً على أن الأسلوب القرآني ظلّ المقياس الأمثل لرفي أساليب الكتاب والشعراء، حتى إنّ مكانة أي كاتب أو شاعر تقاس دائماً بمقدار ما يقترب من مثالية الأسلوب القرآني أو يبتعد عنه.

إلا أن هذا الذي قررناه حول ثبات اللغة العربية وخلودها لم يمنع من حدوث بعض التطورات في الأداء الصوتي من جانب، وفي المفردات والتراكيب من الجانب الآخر. وهذا من طبائع الأشياء. وحسبنا أن نقرأ نصاً من أدب العصر العباسي، ونقارنه بنصّ لكاتب معاصر حتى نلمس الفرق بين النصين من حيث استخدام المفردات والتراكيب.

وليس معنى هذا أن المتأخرين يخترعون الألفاظ أو يخلقون لغة من العدم. فالمادة الأولية للغة ثابتة، ولكن أشكالها متجددة. وأيُّ باحث يُدرك بأدنى تأمل أنّ الأشكال اللغوية لا تثبت على حال فهناك صيغ تولد لم يكن الناس يعرفونها من قبل، كما وُلدت كلمات: المطار. الحاسوب. الرّتاب. الاستشراق. المجهار. هاتف. سائل^(١) .. إلخ.

يقول ابن كمال في الرسالة موضوع التحقيق (ع ١٤٢ أ): "أعلم أنّ اللفظ قد وضع لمعنى مقيداً بقيد فيكون ذلك القيد معتبراً في مفهومه، حتى لو استعمل اللفظ المذكور في المعنى المجرد عن ذلك القيد لكان استعماله فيه بطريق المجاز. كالشَّفَّةِ والمَشْفَرِ والجَحْفَلَةِ".

١- مصطلح عربي مقترح لترجمة Satellite، يقول الحمزاوي: "والملاحظ أن كلمة (سائل) تستحق الاعتبار لأنها عربية فصيحة من: سَتَيْلٌ سَتَيْلًا- ٥: تبعه". الحمزاوي، محمد رشاد. المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها. ص ٧٢.

نعم فالألفاظ محددة في اللغة، وإنما تجدد المعاني وتتطور الدلالات التركيبية، وهذا ما يفسح المجال لنمو المؤلّد من الألفاظ.

واللفظ المؤلّد على ما ورد في المعجم الوسيط: "كلُّ لفظ كان عربي الأصل ثمّ تغير في الاستعمال. و- اللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية". أو كما ورد في (دليل أساليب إيجاد الألفاظ والتعابير للمفاهيم الجديدة- مواصفة تونسية ١٩٨٣): "هو إدخال لفظ جديد إلى الألفاظ العربية المثبتة، لإثراء المعجم العربي لمواكبة الاختراعات والعلوم الحديثة".

والمجاز هو شكل من أشكال التوليد الذي يتمّ فيه التوسع الدلالي، فمثلاً لفظ (السيارة) مأخوذ من مطلق السير، ثم صار يُطلق على (القافلة) وهو اليوم يدلّ على وسيلة النقل المعروفة Automobile^(١).

وكثيراً ما لا تسعفنا المعاجم العربية، بعامّة، للوقوف على الظروف التي أدت إلى (التوليد). فمثلاً قولنا: (ضاق ذرعاً)، وهو تركيب إسنادي أسند فيه الفعل إلى الفاعل فنشأ عن هذا التركيب معنى جديد لا يفهم من معنى اللفظين. فالضيق ضدّ السّعة. والذّرع: المقدار من مدّ الذراع. وأصل المعنى المأخوذ مما يحدث للجمل حين يتقلّ حمله فيضيق ذراعه، فكلمة زاد حمله ضاقت المسافة بين ذراعيه. وهكذا خلص معنى هذا التركيب إلى الدلالة على عدم القدرة على أمر. واستعمل للجمل وغير الجمل. وفي (أخبار أبي القاسم الزجاجي): "أنشدنا اليزيدي لعمه:

قد ضقتُ ذرعاً بِكَ مُسْتَصْلِحاً وَأَنْتَ مُزَوَّرٌ عَنِ الْوَجِيبِ"

وانظر إذا شئت أمثلة أخرى أوردتها إبراهيم السامرائي في كتابه (التطور اللغوي التاريخي، ص ص ٤٢-٥٠) منها:

١- انظر: الحمزاوي، المنهجية العامة.. ص ٤١.

- وأنفه راغم.
- أخذ بجريته.
- جنى جناية.
- ماء الملام... وغيرها.

يقول السامرائي في الموضوع الآنف ذكره: "... والأخذ بهذا النظر - من عدم الاعتراف بالمولد - يعني إنكاراً للحقيقة اللغوية وهي المذهب الاجتماعي الذي يفصح عن أنّ اللغة من صنع الهيئة الاجتماعية. وإذا اعتقدنا بهذه النظرة العلمية الحديثة اعتقدنا أيضاً أنّ هذه اللغة لا بُدَّ أن تتطور فتساير الزمان والمكان". كما لا بُدَّ أن نشير إلى أنّ قصر علماء اللغة المتقدمين الفصاحة على عصر الرواية واشتراط عاملي الزمان والمكان قد أدى إلى تكبرهم للاستعمالات الجديدة المولدة. ولا عجب أن تصاب اللغة العربية بالعقم خلال الفترة الممتدة من القرن السادس عشر وحتى أوائل القرن العشرين فلم تلد سوى خمسين مصطلحاً في مختلف فروع المعرفة على ذمة الإحصائيات التي أعدتها منظمة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة (انظر: مجلة اللسان العربي، المجلد الرابع عشر، ١٩٦٧، ص ٥. عبدالعزيز بنعبدالله:

(Problems of Arabization in Science)

ولسنا هنا بصدد تناول الأسباب الحضارية التي أدت إلى هذا الجمود، ولكن ما يهمنا هو الالتفات إلى هذه الرسالة موضوع الدراسة، وصاحبها من علماء الترك المستعربين، عاش في القرن العاشر الهجري. إلا أننا نلاحظ لديه نظرات تجديدية، فهو يؤمن أن اللغة ضرب من المجاز، وكثيراً ما يدعو إلى تجديد آراء عبدالقاهر الجرجاني في درس اللغوي. ويدعوه بالشيخ. فهو ينقل عنه تأييداً لرأيه في هذا الباب فيقول: (ع ١٤٢ ب): "في بيان التوسع في أوضاع اللغة والتنويع

في مراعاة دقائق الفروق في المعاني المدلول عليها.. فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وُضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله، وجاز به عن موضعه".

ثم يناقش قضية التجوز مستشهداً بأمثلة مما اضطرب علماء اللغة وأصحاب المعاجم في توجيهه بحسب عُرف الاستعمال الطارئ على أصل الوضع اللغوي فيقول: (ع ١٤٤ ب): "الصواب أن يُقال: وإنما يفترقان بالاختصاص بالمرسونات وعدمه. لأننا نقول: ما ذكره هناك من الإطلاق إنما هو بحسب أصل الوضع. وما ذكره ههنا من الاختصاص بالإنسان إنما هو بحسب عُرف الاستعمال الطارئ على أصل الوضع، فلا منافاة. فأخفاً حيث زعم أن الرُّجل مختصة بالإنسان في استعمال العرب...!"^(١).

وتتجدد في حياتنا اللغوية المعاصرة ضرورة التصدي لهذه الظاهرة، فلقد باتت آلاف الألفاظ الحضارية والمصطلحات المختلفة في شتى فروع المعرفة بانتظار أن تحتل مكانها في المعجم العربي. ذلك لأنها غدت تُؤلف جزءاً هاماً من الثروة اللغوية التي يستخدمها الإنسان المعاصر، يقول محمود فهمي حجازي تحت عنوان (اتجاهات التغيير في البنية والمعجم)^(٢): "أما التطور في الكلمات فأبعد مدى وأكثر وضوحاً، إن وزن فاعل ووزن مفعول والأوزان الأخرى هي هي، لم يكذبطراً عليها تغيير في البنية، ولكن التغيير في هذه الأوزان يكمن في بناء كلمات جديدة لم يكن يعرفها المجتمع البدوي القديم. لننظر نظرة سريعة إلى مادة (جمع) في (لسان العرب) مقارنة إياها بنفس المادة في معجم دوزي المكمل للمعجم العربية.. وللمزيد حول هذه المسألة انظر: (من قضايا المعجمية العربية

١- انظر للمفارقة مادة (رجل) في معجم اللغة العربية المعاصرة المكتوبة. هانزفير وملتون كودان.

٢- أسس علم اللغة العربية، ص ٣٠١ (بتصرف). وانظر أيضاً دعوة تمام حسان (اللغة العربية: مبنائها ومعناها، ص ٤٠) لضم شتات (علم المعجم) لصنع المعجم التأصيلي الحديث.

المعاصرة، من محاضرات الندوة العملية الدولية التي تنظمها جمعية المعجمية العربية بتونس عام ١٩٨٦، أحمد شفيق الخطيب (ص ١٨ وما بعدها). وقضايا أساسية في الترجمة. دراسات أعدتها بتكليف من المكتب مجموعة الهندسة الاجتماعية- مكتب التربية العربي لدول الخليج، سنة ١٩٨٥ م.

* * *

وصف نُسخَتِي المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسختين في المكتبة السليمانية باستانبول. الأولى: نسخة "بغداد وهبي" (رقم ٢٠٤١)، وقد رمزت لها بالحرف (ع)، وهي نسخة جيّدة، وخطها تعليق جميل، ونصُّ الرسالة يقع من المجموع في الورقات بين ١٤٢ أ إلى ١٤٥ ب، والصفحة الواحدة منها (٢١) سطراً، وقياس كتابتها (١٣٠×٥٦ ملم). والمجموع نسخه (أبو السعود). وفي الصفحة الأخيرة ترجمة موجزة للمؤلف جاء فيها: "هذه الرسائل للمولى العلامة أستاذ أرباب الفضائل أحمد بن سليمان بن كمال باشا رحمه الله تعالى. من أكابر العلماء وأفاضل الفضلاء، جمع جميع العلوم، وتفرد في كلّها سراجاً منيراً يهتدي بمنارة الروم..". والثانية: نسخة "أيا صوفيا" (رقم ٤٧٩٤)، وقد رمزت لها بالحرف (ص)، وهي نسخة جيدة، قليلة الخطأ، بخط تعليق مقروء كتبها أحمد الشهير بـ"كالنجي زاده" والمجموع عليه تملكات ووقفية للسكان مطموسة، وتحت العنوان وعلى الورقة الأولى منها هذان البيتان من الشعر:

ومجموع كعقد الدر نظماً على تفضيله الإجماع يعقد
يطابق كلّ معنى فيه حسناً ومجموعاً تراه وهو مفرد

وَنصُّ الرسالة يقع في الورقات (١٣٦ ب- ١٣٨ ب). والصفحة الواحدة (٢٣) سطرًا، وقياس كتابها (١٥٠×٧٠ ملم).

وقد كانت خطتي في تحقيق هذه الرسالة إثبات الفروق بين النسختين كما قمت بمراجعة النصوص على مصادر ابن كمال حيثما وُجد المطبوع منها. ولم أرَ ضرورة التعريف بالأعلام لأنها مشهورة في حقل الاختصاص، وهي قليلة على العموم.

ثانياً:

تحقيق الرسالة:

"رسالة في مدار التجوُّز في اللَّفْظ"^(١)

لابن كمال باشا (ت ١٩٤٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم^(٢)

اعلم أنَّ اللفظ قد يُوضع لمعنى مقيداً بقيد فيكون (ع ٤٢ ب) ذلك القيد معتبراً في مفهومه؛ حتى لو استعمل اللفظ المذكور في المعنى المجرد عن ذلك القيد لكان استعماله فيه بطريق المجاز. كالشِّفَّة والمِشْفَر والجَحْفَلَة^(٣). قال الشيخ عبدالقاهر في أسرار البلاغة^(٤): "في بيان التوسع في أوضاع اللغة والتتوق^(٥) في مراعاة دقائق الفروق في المعاني المدلول عليها، كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان نحو وضع الشِّفَّة للإنسان، والمِشْفَر للبعير، والجَحْفَلَة^(٦) للفرس. وما شاكل ذلك من فروق ربما وُجدت في غير لغة العرب. وربما لم توجد، فإذا استعمل الشاعر شيئاً منها في غير الجنس الذي وُضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله، وجاز به عن موضعه، كقول العجاج (من الرجز):"^(٧)

* وفاحماً ومَرْسِناً مُسْرَجاً *

يعني أنفاً يبرق كالسراج، والمرسن في الأصل للحيوان لأتته الموضع الذي يقع عليه الرّسن" إلى هنا كلامه.

وعلى وفق هذا ورد كلام السّكاكي في أصل التشبيه من (المفتاح) حيث قال في النوع الثاني منه^(٨): "وكذا مثل أنف ومرسن، فهما مشتركان في الحقيقة^(٩)، وهو العضو المعلوم، وإنما يفترقان: باتصاف أحدهما بالاختصاص بالإنسان، واتصاف الآخر بالمرسونات، وما جرى مجراهما من نحو شفة وجحفلة، ورجل وحافر^(١٠)".

فإن قلت: أليس المفهوم من كلامه في الأصل الثاني حيث قال في الفصل الأول منه: ".. مثل أن تستعمل المرسن، وأنه موضوع لمعنى الأنف، مع قيد أن يكون مرسون، استعمال الأنف من غير زيادة قيد بمعونة القرائن، كقول العجاج:

* فاحمأ ومرسناً مسرجاً*^(١١)

يعني أنفاً يبرق كالسراج، أو مثل: المشفر، وهو موضوع للشفة (ع ٤٣٤ أ)، مع قيد أن تكون شفة بغير، استعمال الشفة، فنقول: فلان غليظ المشفر، في ضمن قرينة دالة على أن المراد هو الشفة لا غير، أو مثل أن تستعمل الحافر، وأنه موضوع للرجل مع قيد أن تكون رجل فرس أو حمار، استعمال الرجل بالإطلاق، اعتماداً على دلالة القرائن.. - العرف على ذلك (ص ٣٧ أ) عدم الاختصاص في وضع الأنف والشفة والرجل بما في الإنسان من الأعضاء المخصوصة^(١٢).

قلت: نعم ولا غرو^(١٣) فإنّ كلمات أئمة اللغة مضطربة ههنا ولا يوافق ما في الكتب المشهورة من اللغة لما^(١٤) ذكره الشيخ^(١٥).

قال الجوهري^(١٦) ويوافق ما في القاموس: "الجحفلة للحافر، كالشفة للإنسان". وهذا القول منه صريح في الاختصاص في كل من الشفة والجحفلة. وقال في موضع آخر^(١٧): "والمرسن، بكسر السين: موضع الرسن من أنف الفرس".

والظاهر من قوله (من أنف الفرس)، ومن قول صاحب الكشاف في الأساس^(١٨): "نقول: ضع الخطام على مرسنه ومخطمه وهو أنفه" ومن قول صاحب

القاموس^(١٩): "الرَّسَن، محرّكة، ما كان من زمامٍ على أنف"^(٢٠)، ومن قوله^(٢١))
وكمَجَلَس ومَقْعَد) ردُّ للجوهري في قوله (بكسر السين). وأما مخالفته له في
تخصيص الرَّسَن بما كان من زمام على الأنف. وقد عمّمه الجوهري حيث قال^(٢٢)
: "الرَّسَنُ": الحَبْلُ" فلم يُصَبِّ، لأن ما في الأساس والمُجَمَل يوافق (خطمه)^(٢٣).
ثم إنَّ الظاهر من قول الجوهري (موضع الرَّسَن من أنف الفرس) أنَّ المرسن^(٢٤)
ليس اسم ذلك العضو بل اسم موضع خاص منه^(٢٥).

وهنا شيء آخر لا بُدَّ من التنبيه عليه وهو أنَّ الحافر من الفرس ونحوه
بمنزلة القدم من الإنسان لا بمنزلة الرَّجُل منه. والفرق بين الرَّجُل والقَدَم (ع ٤٣٦ ب)
أنَّ الساق خارجة عن القدم دون الرَّجُل^(٢٦). ومنَّ لم يفرق بينهما فذكر الرَّجُل في
مقابلة الحافر لم يُصَبِّ.

ثمَّ إن قول صاحب المجلد^(٢٧): "والرَّجُل للإنسان وغيره... صريح في عدم
الاختصاص في (الرَّجُل) ويشهد له استعمالات العرب. قال الجوهري^(٢٨) وغيره:
"رَجَلْتُ الشاة" علقتُها بِرِجْلِها. والأرجل من الخيل: الذي في إحدى رِجْلَيْه بياض".

وصاحب القاموس (ص ٧٣ ب) أخطأ في تفسير الرَّجُل حيث قال: ^(٢٩)
"والرَّجُل - بالكسر - : القَدَم، أو من أصل ^(٢٩) الفخذ إلى ^(٣٠) القَدَم "فإن ذكر ^(٣١)
الرَّجُل في مقابلة اليد. وقول الجمهور إنَّ (إلى) في قوله تعالى^(٣٢): ﴿... وأرجلكم
إلى الكعبين﴾ يدل^(٣٣) على دخول القدم والساق في الرَّجُل. ما في (تهذيب الأسماء
واللغات) للنووي نقلاً عن الأصمعي وأبي زيد^(٣٤)^(٣٥): "في كلِّ رِجُلٍ كعبان^(٣٦)،
وهما عظما طرفي الساق عند ملتقى القدم".

ومن الناظرين في هذا المقام من تصدَّى للتوفيق بين كلامي صاحب المفتاح
حيث قال في شرح الكتاب المذكور: وصرَّح بلفظ الاتصاف^(٣٧) تنبيهاً على أنَّ
الاختصاصين خارجان عن حقيقتهما المذكورة. لا يقال قد علّم مما^(٣٨) ذكره في

فصل المجاز الذي لا يفيد أن الأنف والشفة والرَّجُل، مطلقاً يتناول الإنسان وغيره، وأنَّ المرسن والجحفلة والحافر، مختصة لغيره من الدواب. فالصواب أن يُقال: وإنما يفترقان بالاختصاص بالمرسونات^(٣٩) وعدمه. لأننا نقول: ما ذكره هناك من الإطلاق إنما هو بحسب أصل الوضع .

وما ذكره ههنا من الاختصاص بالإنسان إنما هو بحسب عُرف الاستعمال الطارئ على أصل الوضع فلا منافاة (ع ٤٤٤ أ١).

فأخفاً حيث زعم أن الرَّجُل مختصة بالإنسان في استعمال العرب. وقد نبّهت فيما تقدم على فساد هذا الزعم^(٤٠). ثمَّ إن التصريح بالاختصاص بحسب الوضع قد وضع في كلام الشيخ على ما نقلناه في صدر الرسالة.

والظاهر أنَّ صاحب المفتاح أخذ في أحد مقامي كلامه بما ذكره، وفي الآخر بما ذكره غيره من أئمة اللغة. ولا بأس في ذلك، لأن كلاً منهما مقام التمثيل لا مقام التحقيق. ومقام التمثيل يتحمّل التوسع فوق هذا.

بقي ههنا^(٤١) في الكلام المذكور بحث آخر، وهو أنَّ موجب التنبية الذي ذكره هو أن يكون الأنف والمرسن مترادفين. وكذا الشفة والجحفلة. وكذا الرَّجُل والحافر - ولا يرتضيه صاحب المفتاح كيف..؟! وكلامه في فصل المجاز، حيث قال^(٤٢): وإن موضوع (ص ٣٨ أ١) لمعنى الأنف مع قيد صريح في خلافه. ثم إنه لم يصب في قوله (والجحفلة)، لأن المذكور في كلام صاحبه المفتاح وهو (المشفر) دون (الجحفلة).

ومما ظنَّ أنه من هذا القبيل، أي من قبيل استعمال الموضوع للمقيد مجرداً عن قيده، استعمال الخِزْي في الدُّلِّ. قال الإمام الراغب في تفسير قوله تعالى^(٤٣): ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .. والخِزْيُ دُلٌّ يُسْتَحْيَى مِنْهُ وَلِتَضْمَنَهُ الْمَعْنِيَيْنِ اسْتَعْمَلَ تَارَةً فِي الدُّلِّ، نحو: عليه الخِزْي. وأخرى في

الاستحياء، نحو: خَزِيَّ^(٤٤). وقَلَّده الإمام البيضاوي حيث قال^(٤٥): "وأصل الخَزِيَّ دُلُّ يُسْتَحْيِي منه، ولذلك يُسْتَعْمَل في كُلِّ منهما".

وليس المراد كما ظنَّنا. فَإِنَّ (خَزِيَّ) لغة مشتركة موضوعة^(٤٦) لكلِّ من المعنيين المذكورين. دَلَّ على (ع ٤٤ ع ١ ب) ذلك الاختلاف في المصدر، قال الجوهري^(٤٧): "وَحَزِيَّ - بالكسر - يَحْزِي حَزِيًّا، أَي: دَلَّ وهان.. وَحَزِيَّ أيضاً يَحْزِي حَزِيًّا، أَي استحياء^(٤٨)" وقال العلامة الزمخشري في الأساس^(٤٩): خ ز ي - أصله يدل على انكسارٍ يلحق الرَّجُلَ إما من نفسه أو من غيره. فالذي يلحق من نفسه هو الحياء المُفْرَط ومصدره الحَزَايَة بالفتح والذي يلحق من غيره ضَرْبٌ من الاستخفاف ومصدره الخَزِيُّ".

وقال صاحب القاموس^(٥٠): "خَزِيَّ كَرَضِي حَزِيًّا - بالكسر وَخَزِيَّ: وقع في بَلِيَّةٍ وشُهُرَةٍ فَدَلَّ بذلك.. وَخَزِيَّ أيضاً حَزَايَةً وَخَزِيَّ بالقصر استحيا". ويوافقهم ما هو الظاهر من قوله تعالى^(٥١): ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَدَلَّ وَنَخْزِي﴾.

ومن هنا انكشف وجه مقارنة لفظ (لو) لها دون المحبة (ع . ٤٥ أ)، حيث يقال: (يُودُّ لو)،^(٥٢) ولا يُقال: (يحبُّ لو).^(٥٤)

والجوهري تنبَّه على إجمال هذا المعنى حيث قال^(٥٥): "وتقول: وَوَدِدْتُ لو تفعل ذاك، وَوَدِدْتُ لو أَنَّكَ تفعل ذاك". إلا أنَّه لم يقف على التفصيل الذي قدمناه.^(٥٦)

وصاحب القاموس لم يتنبَّه على ما بين (يودُّ)^(٥٧) و(لو)^(٥٨) من المناسبة التي ليست بين (يحبُّ) و(لو)، فلم يذكر ما ذكره الجوهري زاعماً أن الجوهري خلط فيه بين معنى (يودُّ) ومعنى التمني المستفاد من لفظة (لو).

والظاهر من كلام صاحب المجلد أن (الودُّ)^(٥٩) مشترك بين المحبة والتمني حيث قال: "وَدِدْتُ أَنَّ ذاك^(٦٠) كان، إذا تمنيته. وَوَدِدْتُ الرَّجُلَ: أحببته. أو^(٦١)

فيهما جميعاً. وعلى هذا يكون لفظ (يَوُدُّ) كافياً عند إرادة أحد المعنيين المذكورين. ويحتاج إلى زيادة (لو) عند إرادتهما لعدم صحة إرادة معنى المشترك معاً". وما قدمنا في ردِّ زعم الراغب والبيضاوي لا يتمشى في ردِّ ما ذكره صاحب المجلد.

والله أعلم بالصواب، والحمد لله وحده^(٦٢).

التعليقات والهوامش

(١) تختلف المصادر في تحديد مداخل هذه الرسالة، ففي مجموع بغداد وهبي رقم ٢٠٤١ نقرأ: "رسالة شريفة معمولة في اللفظ المستعمل بطريق المجاز للمولى الشهير بابن كمال الوزير". ومجموع أياصوفيا رقم ٤٧٩٤ لم يضع عنواناً للرسالة. بينما نجد من مجلة الشريقات (ص ١١٣) خطأ بين التعريف بهذه الرسالة، ورسالة أخرى لابن كمال نفسه باسم: رسالة في أنواع المجاز. وقد وقع اختيارنا على ما وجدناه في (عقود الجواهر، ص ٢٢٣).

(٢) ع: باسمه سبحانه.

(٣) ع، ص: والجَحْفَل. والجَحْفَل: الجيش الكثير، ج: جَحَايِل. والجَحْفَلَةُ: لذوات الحافر من الخيل والبيغال والحمير، كالشَفَّة فلإنسان، ج: جَحَايِل. وذوات الحافر: الخيل والبيغال والحمير الأهلية والوحشية وكل ما ليس حافره مشقوقاً. وذوات الظلف كالبقرة والشاة والظبي وذوات الخف الإبل.

(٤) أسرار البلاغة، ص ٢٩ - طبعة رينتر.

(٥) ع: والتفرق، تحريف.

(٦) ص: الجحفل، والتصويب من (أسرار البلاغة)، والمعجم.

(٧) الشطر في صفة امرأة وقبله:

أزْمَانٌ أَبَدَتْ وَاضِحاً مُفْلَجاً وَمُقَلَّةٌ وَحَاجِباً مُرَجَّجاً

جاء في هامش تهذيب الألفاظ، ص ٢٠٧: "وصف امرأة. والواضح ثغرها الأبيض البراق. والمرججُ الدقيق الطرف. والفاحم شَعْرُهَا الأسود. والمَرْسِنُ الأنف. وقيل في المُسْرَجِ أَنَّهُ الأنف الدقيق مشبَّهٌ بالسيف السريجي.

(٨) مفتاح العلوم، تحقيق زررور، ص ٣٣٣.

(٩) ع، ص: بالحقيقة.

(١٠) وتكلمة ما ورد في (المفتاح).. وبين أن يكون الاشتراك بالصفة تارة، أو الافتراق بالحقيقة أخرى".

(١١) مفتاح العلوم، ص ٣٦٤.

(١٢) تصرف ابن كمال في النص المنقول عن (المفتاح) وينظر المفتاح في الموضوع نفسه.

(١٣) بعدها في (ع): "عرف على ذلك عدم" زيادة من الناسخ لا معنى لها.

(١٤) ع: كما: خطأ.

(١٥) المقصود هو: عبدالقاهر الجرجاني، وقد سبق الاستشهاد بقوله في أول الرسالة.

(١٦) الصحاح (مادة جحفل ٤/١٦٥٢)، وفي القاموس (مادة ج ح ف ل): "وَالجَحْفَلَةُ بمنزلة الشَّقَّةِ للخيل والبيغال والحمير".

(١٧) الصحاح (مادة رسن ٥/٢١٢٣)، وتكلمة كلامه.. ثم كثر حتى قيل مَرْسِنُ الإنسان".

(١٨) أساس البلاغة للزمخشري (مادة ر س ن، ص ١٦٣).

(١٩) القاموس المحيط للفيروز أبادي (المادة نفسها).

(٢٠) ع: الأنف.

(٢١) الضمير عائد على الفيروز أبادي.

(٢٢) الصحاح (المادة نفسها).

(٢٣) ع: خصمه، تصحيف.

(٢٤) ص: الرسن، خطأ.

(٢٥) ع: منها، خطأ.

(٢٦) جاء في (فرائد اللغة في الفروق): القَدَم: من الرَّجُل ما يَطَأُ عليه الإنسان من لَدن الرسغ إلى ما دون ذلك. والرَّجُل: من أصل الفخذ إلى القدم. قيل سَمِيَتْ به لأنها تحمل البدن وتقوى على الحركة".

(٢٧) ابن فارس، وفي المقاييس ٤٩٢/٢: "رجل: الرء والجيم واللام: معظم بابه يدلُّ على العضو الذي هو رِجْلُ كلِّ ذي رِجْلٍ. ويكون بعد ذلك كلمات تشبُّدُ عنه. فمعظم الباب الرَّجُل: رِجْلُ الإنسان وغيره".

(٢٨) الصحاح (مادة رجل ١٧٠٥/٤).

(٢٩) ع: أخيل، تصحيف.

(٣٠) ع: إلا ، خطأ.

(٣١) ع: فانه ذكرت.

(٣٢) آية ٦ من سورة المائدة.

(٣٣) ص: يدلان، خطأ.

(٣٤) ع: وأنه، تصحيف.

(٣٥) تهذيب الأسماء واللغات (١١٥/٤) وتتمه قول النووي: ". قلت: مذهبا ومذهب جمهور العلماء أن المراد بالكعبين في الآية العظمان الناتان عند مفصل الساق والقدم.. والكعب لغة اسم لما استدار وعلا، ولذلك قالوا كَعَبَ ثدي الجارية إذا علا واستدار. وسميت الكعبة لاستدارتها وعلوها.. وفي التفسير الكبير للرازي ١٦٢/١١: "مذهب جمهور الفقهاء أن الكعبين عبارة عن العظمين الناتين من جانبي الساق".

(٣٦) ع: كعبين، خطأ.

(٣٧) ص: الانصاف، تصحيف.

- (٣٨) ص: ما .
- (٣٩) ع: بالموسون .
- (٤٠) ع: الزاعم، خطأ .
- (٤١) ههنا، سقط من ص .
- (٤٢) مفتاح العلوم، ص ٣٦٤ . وقد نقل ابن كمال النص بمعناه .
- (٤٣) البقرة آية ٨٥ .
- (٤٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص ١٤٧)، وقد تصرف ابن كمال في عبارة الراغب وتماهما: "خَزِي الرَّجُل لحقه انكسار إما من نفسه وإما من غيره. فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المُفْرَط ومصدره الخَزَايَةُ. ورجل خَزِيَانُ وامرأة خَزِيِي وجمعه خَزَايا..، والذي يلحقه من غيره يقال هو صَرَبٌ من الاستخفاف، ومصدره الخِزْيُ وَرَجُلٌ خِزِيٌّ. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة ٣٣]."
- (٤٥) تفسير البيضاوي، ص ١٨ .
- (٤٦) ص: موضوع .
- (٤٧) الصحاح (مادة خزا، ٦/٢٣٢٦) .
- (٤٨) ع، ص: استحي .
- (٤٩) هذه ليست عبارة الزمخشري وإنما هي عبارة الراغب على ما سبق إثباته في هامش (٤٤) سوى أن (الخزاية) ضبطت بالفتح عند الزمخشري، بينما هي بالكسر عند الراغب .
- (٥٠) القاموس المحيط، مادة (خ ز ي). وقد نقلنا النص كاملاً من المعجم حرصاً على الضبط، لأنَّ ابن كمال عمد إلى الاختصار .
- (٥١) الآية ١٣٤ من سورة طه. وفي تفسير البيضاوي (ص ٤٢٥): "من قبل أن نذل بالقتل والسبي في الدنيا، ونخزي بدخول النار يوم القيامة".
- (٥٢) البقرة آية ١٠٥ . وفي (ع) أخطأ الناسخ بالخلط مع آية (٢) من سورة الحجر (انظر الآتي). وقد عمدنا إلى كتابة آية البقرة كاملة .
- (٥٣) ﴿يَمَّا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

(٥٤) ما بين معقوفين ساقط من (ع)، وانظر مفردات الراغب، ص ٥٥٣ وقد تصرف ابن كمال بالنص دون إخلال بالمعنى.

(٥٥) تفسير البيضاوي، ص ٢٣.

(٥٦) ع: أنه.

(٥٧) جاء في فرائد اللغة في الفروق (ص ٤٥٠): " يُقال: وددتُ أن يكون كذا، ووددتُ لو كان كذا. لا يقال: أحببتُ لأن مفهوم (ودّ) ليس مطلق المحبة التي يقارنها التمني. وتلك المقارنة هي شرط استعمالها على الأصل. فلا تذكر بدون (لو) الدّالة على الشرط المذكور إلا إذا توسّع واستعملت في معنى مطلق المحبة.

(٥٨) ع: للدلالة، تحريف.

(٥٩) الصحاح (مادة ودد ودد ٥٤٩/٢).

(٦٠) ص: ذلك.

(٦١) ص: أود.

(٦٢) ص: انتهى.

ثبت المصادر والمراجع

- الأصفهاني، الراغب (٥٠٣هـ). معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق مرعشلي (بيروت: دار الكاتب العربي، ط١، ١٩٧٢م).
- البغدادي، إسماعيل بن محمد باشا (ت ١٩٢٠م). هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (مصر عن طبعة استانبول ١٩٥١م).
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر (ت ٦٨٥هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (مصر عن طبعة استانبول ١٣٠٥هـ).
- الجرجاني، أبو بكر النحوي = عبدالقاهر بن عبدالرحمن (ت ٤٧١هـ). أسرار البلاغة، تحقيق هـ. رينتر (استانبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤م). دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا (القاهرة: مكتبة القاهرة، طبعة ١٩٦١م).
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣هـ). صحاح اللغة، وتاج العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٩م).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الشهير بـكاتب جليبي (ت ١٦٠٧هـ). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (استانبول: البهية، ١٣٦١هـ).
- حجازي، محمود فهمي. أسس علم اللغة العربية (القاهرة: دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م).

- حسّان، تمام. اللغة العربية: معناها ومبناها (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٧٩م).
- الحمزوي، محمد رشاد. المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتمييزها (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٦م).
- الخطيب، أحمد شفيق. من قضايا المعجمية العربية المعاصرة. من محاضرات الندوة العلمية الدولية لجمعية المعجمية العربية بتونس: نيسان ١٩٨٦م (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦م).
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن علي، الشهير بالفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ). التفسير الكبير: مفاتيح الغيب (القاهرة: نشر عبدالرحمن محمد، ١٩٣٣م).
- الزركلي، خير الدين. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (بيروت: ط ٣، ١٩٦٩م).
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ). أساس البلاغة بتحقيق عبدالرحيم محمود (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢م).
- السعران، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي (القاهرة: ١٩٦٤م).
- السكاكي، أبو يعقوب محمد بن علي (ت ٦٢٦هـ). مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣م).
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ):
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، دون تاريخ).

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ).
- طاش كبرى زادة، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة (ت ٩٦٨هـ). الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، نشره محيي الدين عبدالحميد بذيل وفيات الأعيان لابن خلكان (القاهرة: دار السعادة، ١٩٤٨م).
- العظم، جميل بك. عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فأكثر. (بيروت: المطبعة الأهلية، ١٣٢٦هـ).
- الفيروز أبادي، مجد الدين بن يعقوب (٨١٧هـ). القاموس المحيط (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٥٢. وله طبعات أخرى).
- اللكنوي، محمد بن عبدالحى، أبو الحسنات (ت ١٣٠٤هـ). الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تصحيح محمد بدر النعساني (القاهرة: مطبعة السعادة، ط ١، ١٣٢٣هـ).
- لامنس، هنريكوس اليسوعي. فرائد اللغة في الفروق (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٨٨٩م).
- مكتب تنسيق التعريب بالرباط. مجلة اللسان العربي، ج ١٤. مقال باللغة الإنجليزية للأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله (مشكلات التعريب في العلوم).
- مكتبة التربية العربي لدول الخليج. الترجمة: قضايا ومشكلات وحلول. دراسات أعدتها، بتكليف من المكتب، مجموعة خبراء الهندسة الاجتماعية (الرياض: مطبعة المكتب ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ). تهذيب الأسماء واللغات (نسخة صورتها دار الكتب العلمية، بيروت).
- هانز فير وملتون كووان. معجم اللغة العربية المعاصرة المكتوبة (بيروت: مكتبة لبنان، ط ٣، ١٩٧٤م).